دفافني يسرى

رواية

نقطة تحت العين

"هربوا من الحقيقة ... فصارت تلاحقهم بعيني "

نقطة تحت العين

" هربوا من الحقيقة ... فصارت تلاحقهم بعيني "

دفافني يسرى

جميع الحقوق محفوظة

هذا العمل الأدبي بعنوان "نقطة تحت العين" هو من تأليف دفافني يسرى، وجميع حقوق النشر والطباعة والتوزيع محفوظة لها.

لا يجوز نسخ هذا العمل أو إعادة نشره أو اقتباس أجزاء منه أو تعديله أو ترجمته بأي وسيلة كانت، سواء إلكترونية أو ورقية أو صوتية، دون إذن خطّي من الكاتبة.

نُشر هذا الكتاب مجانًا لأغراض القراءة فقط، وأي استخدام تجاري أو نسب للمحتوى يُعد تعدّيًا على حقوق الملكية الفكرية، ويُعرّض صاحبه للمساءلة القانونية والأخلاقية.

"الكلمة أمانة، وما يُكتب بالقلب لا يُنتزع بالسرقة."

دفافني يسرى

2025

إهداء

إلى كل من يحمل في عينيه نقطة سوداء...
إلى من يرى الحقيقة رغم الألم،
ويسعى لأن يكون صوتًا وسط صمت العالم.

لكم، هذا الكتاب ...

ولدت و في عيني بئر

اسمي ركام.
اسألني عن السبب؟ لا أعرف.
يقولون إن والدي أطلق هذا الاسم لأنني وُلدت تحت أنقاض بيت مهدوم.
كنتُ الطفل الذي نجا، والاسم كان علامة على ما تبقى منه... لا منه فقط، بل من كل شيء.

لكنني أؤمن أن الأمر أعمق من ذلك.
أنا لم أُولد تحت الركام فقط، بل حملته في عيني.

منذ أن فتحت جفنيَّ أول مرة، لاحظوا شيئًا غريبًا:
نقطة سوداء، دقيقة، لكنها واضحة، تقع تحت عيني اليمنى.
الطبيبة قالت إنها "وحمة خلقية"، لكن جدتي قالت إنها "علامة"، وقالت أمي إنها "سرّ."
أما أبي، فقد مات قبل أن يقول أي شيء.

مرت سنوات، وبدأت أرى ما لا يراه غيري.

لا أتكلم هنا عن الأشباح أو الألوان... بل عن الحقيقة.

كل شخص أنظر إليه، أرى بجانب وجهه ظلًا صغيرًا، متصلًا بتلك النقطة تحت عيني، يهمس لي بما يُخفي.
أراهم يبتسمون، بينما الظل يصرخ.
أراهم يبكون، بينما الظل يضحك.
أراهم يمدّون لي يدًا، بينما ظلّهم يخفي خنجرًا خلف ظهورهم.

كنت في السابعة عندما رأيت الحقيقة لأول مرة.
خالتي جاءت تبكي، تقول إن زوجها ضربها، وإنها تركت البيت.
لكن الظل كان يبتسم.
اقترب مني وهمس:
ـ "هي من خانته، وهي من كسرت قلبه، وهي من كذبت."

حين أخبرتها بما سمعت، صفعتني.
قالت إني "أخترع القصص."
لكنها لم تعد لزيارتنا بعدها.

.

منذ ذلك اليوم، بدأت أخفي وجهي، أضع قبعة، أنظر إلى الأرض.
كلما رفعت نظري، رأيت مزيدًا من الأكاذيب تتجسد.
المعلم في المدرسة... الكاذب.
الجارة... الخائنة.
أمي... آه، أمي.

أمي كانت الوحيدة التي لم أرَ ظلها قط.
ظننتُ أنها الوحيدة الصادقة... حتى جاء اليوم الذي رأيت فيه ظلها يبتعد عنها لثوانٍ، ليريني شيئًا صغيرًا خبأته عني منذ سنوات...

ذلك اليوم لم أنم.
ومن بعده، قررتُ أنني لن أعيش بين الناس كما كنت.
إذا كنتُ الوحيد الذي يرى... فربما خُلقت لأكشف.
لكن، من سأبدأ به؟ ومن سيصدقني؟
ومن أنا... لأُصلح هذا العالم المهدم، وأنا نفسي طفل خرج من تحت ركام؟

" ما وراء كل نقطة ، قصة لا تنتهي "

مدينة الأكاذيب

في المدينة التي نشأت فيها، كل شيء مغطى بطبقة من الرماد.

البيوت رمادية، الوجوه رمادية، حتى الحقيقة أصبحت رمادية.

الناس يمشون بسرعة، وكأنهم يهربون من شيء لا يُرى.

وأنا... أرى كل شيء.

كنت أراقبهم بصمت، أجلس في ركن السوق الشعبي، أبيع أعواد الثقاب بصندوق كرتوني مهترئ، وأراقب.

الرجل الذي يصرخ في الهاتف قائلًا إن "الزبون سرق البضاعة"... ظلّه يهمس: "أنا من أخذ المال".

المرأة التي تشكو لشرطي من فقدان ابنتها... ظلّها ينكمش ويرتجف، يحمل صبيًا صغيرًا ملفوفًا في بطانية، ويحاول الهرب.

كلهم كاذبون...

كلهم خائفون...

وكلهم لا يرون النقطة تحت عيني، تلك التي صارت لي عينًا ثانية، ولكنها لا تنظر إلى الخارج بل إلى الداخل... إلى الحقيقة المدفونة تحت الجلد.

لكن في ذلك اليوم... حدث ما لم أتوقعه.

مرّ صبي في مثل سني تقريبًا، يدفع عربة يبيع فيها خبزًا ساخنًا.

اقترب مني، أعطاني رغيفًا، وقال:

ـ "أنت تجلس هنا منذ أيام، لم أرك تأكل."

نظرت إليه، ورفعت بصري رغمًا عني.

لكن... لم أرَ أي ظل خلفه.

تجمدت.

مستحيل.

كل من رأيتهم كان لهم ظل... إلا أمي سابقًا، والآن هذا الفتى.

ـ "ما اسمك؟"

ـ "آدم."

آدم؟ وكأن القدر يسخر مني.

قال لي وهو يضحك:

ـ "لدي وجه بريء، صحيح؟ الكل يقول إنني لا أجيد الكذب!"

همست:

ـ "لست بريئًا، بل نادر... لا ظلّ لك."

ضحك دون أن يفهم. لكنه بقي جالسًا بجانبي طويلًا.

ولأول مرة منذ سنوات... شعرت أنني لست وحيدًا تمامًا.

" حين ترى الحقيقة ، لا تستطيع أن تعود للعمى "

الشبح الذي يشبهني

في تلك الليلة، حلمت.

وهذا نادر. فالأشخاص الذين يرون الحقيقة نادرًا ما يحلمون.

كأن الحقيقة تمنعك من الحلم، كأنك لا تستحق ذلك.

رأيتُ طفلًا يشبهني، يقف في شارع مهجور، تحيط به وجوه كثيرة، كلها سوداء، كلها تنزف أكاذيبًا.

كان ينظر إليّ...

وكانت له نقطة تحت عينه... تمامًا مثلي.

اقترب مني وقال:

ـ "ركام... لا تحاول إنقاذ الجميع، فبعضهم يحب الظلام أكثر."

ـ "لكنني أرى، ويجب أن أخبرهم."

ـ "أنت لا تخلّصهم... أنت تفضحهم."

ـ "وهل بين الاثنين فرق؟"

ـ "الفرق؟ الفرق أنك عندما تكشف شخصًا، إما يكرهك... أو يحاول أن يقتلك."

استيقظت وأنا ألهث.

المطر يطرق النافذة الصغيرة، وأمي نائمة بجانبي.

لكني لم أعد أشعر أنني طفل فقط... بل عين يقظة وسط مدينة نائمة.

وكنت على وشك أن أستخدم هذه العين أكثر...

" كل عين تخفي سرًّا ، فهل تجرؤ أن تراه "

لعبة الظلال

مرت أيام قليلة على لقائي بآدم، لكنها لم تمرّ كغيرها.
كان شيئًا فيه يربكني... ليس فقط لأنه "بلا ظل"، بل لأنه أيضًا لا يخاف من نظرتي.
الكل يتجنب نظراتي.
الكل يشعر بشيء داخلي يفضحه.
إلا هو.

آدم جلس أمامي يومًا وقال:
ـ "هل تعلم أن أكثر الناس كذبًا هم أكثرهم كلامًا؟"
ضحكت رغمًا عني.
ـ "وكيف عرفت؟"
ـ "من مراقبتي. وأنا أراقب أكثر مما أتكلم."

كانت هذه الجملة غريبة... تشبهني.

بدأت أقترب منه شيئًا فشيئًا. وكأن نقطة الظل في عيني هدأت عندما كان بقربي.
لكني، ذات صباح، رأيت ما كسر تلك الراحة.

كنا نتمشى في الحي القديم، حين اقترب منا رجل سمين، يضحك بصوت عال، يمسك مسبحة بيده.

ـ "آدم! كيف حال أمك؟ هل تحتاجون شيئًا؟ أنا أخوك الكبير."

آدم شدّ يدي فجأة.

همس لي: "هيا، لا تجبه."

لكنني كنت قد رفعت رأسي بالفعل... ورأيت ظل الرجل.

كان الظل يحمل حقيبة مملوءة أوراقًا سوداء، والظل يلهث كمن يحمل ذنوبًا لا تُغتفر.

وحين مرر عيني عليه أكثر... سمعت همسًا قاسيًا:

ـ "هذا الرجل يبيع الأطفال."

تجمد الدم في عروقي.

نظرت إلى آدم... كان وجهه شاحبًا.

لم أتكلم. لكنه فهم أنني رأيت شيئًا.

هزّ رأسه وقال:

ـ "أعرف... لقد حاول أن يأخذني وأنا صغير. أمي هربت بي."

تمنيت لو لم أرَ ما رأيت.

" الأسرار تلاحق من يجرؤ على اكتشافها "

لا أحد بريء

منذ ذلك اليوم، بدأتُ أرى المدينة على حقيقتها.
لم تكن مدينة أكاذيب فقط... بل كانت مسرحًا.

الكل يؤدي دوره.
الكل يرتدي قناعًا.
لكن ظلّهم خلفهم يفضحهم.

الشرطي الذي يتظاهر بالقانون... ظلّه يغتال صبيًا في زقاق.
الإمام الذي يخطب عن الأمانة... ظلّه يبيع سكوتَه مقابل حفنة نقود.
الطبيب الذي يُقسم أن يحمي الأرواح... ظلّه يوقع ورقة موت لمريض فقير.

كل شيء كان هشًّا.
كل شيء مزيف.
حتى أنا.

في الليل، أنظر في المرآة... وأبحث عن ظلّي.
لكني لا أراه.

هل يعني أنني نقي؟ أم أنني... أعماي؟
أم أن النقطة السوداء امتصّت كل ظلّي ولم تُبقِ منه شيئًا؟

في إحدى الليالي، سمعت أمي تتكلم في الهاتف.
صوتها خافت، متقطع.
ـ "لا، لم يعرف بعد.
ـ نعم، لديه النقطة...
ـ لا، لن أدعه يقابلهم...
ـ قلت لك، هو لا يعلم شيئًا بعد!"

شعرت بالهواء يختنق حولي.
من "هم"؟
ما الذي تعرفه أمي ولا أملكه؟
وهل كانت تخفي عني شيئًا طوال هذا الوقت؟

في تلك الليلة، قررت أن أتابعها.

"الحقيقة ليست ما تراه ، بل ما تشعر به "

اجتماع الأرواح المعتمة

تسللت خلفها في الظلام.
كانت تمشي بسرعة، تلبس عباءة سوداء، وتضع غطاءً على رأسها.
دخلت زقاقًا ضيقًا، ثم عبرت بابًا حديديًا صغيرًا بين حائطين.

انتظرت دقائق... ثم تبعتها.

الهواء في الداخل كان أثقل.
المكان مظلم، فيه رائحة عفن، وصوت أوراق تُقلب.
جلست خلف جدار، وبدأت أسمع:

ـ "ابنك خطير."
ـ "هو لا يؤذي أحدًا!"
ـ "لكنه يرى... ويرى بوضوح."

صوت رجل آخر أجش:
ـ "وإذا كشف أحدنا؟"
ـ "لن يفعل، لن أسمح له... هو مجرد طفل."
ـ "بل هو عين... وقد نحتاج أن نغلقها."

تجمدت.

هم يتحدثون عني... أمي معهم.

وهناك رجال، لا أعرفهم، يتكلمون وكأنهم يتحكمون بالمدينة...

وكأنهم يعرفون من أنا، أكثر مما أعرف أنا نفسي.

هؤلاء ليسوا كأي بشر...

ولأول مرة، رأيت ظلالهم قبل أن أراهم.

لكن ظلالهم لم تكن خلفهم... كانت فوقهم، تحكمهم، تحركهم، كأنهم دمى في يد شيء أعمى.

شعرت بأنني في قلب مؤامرة أكبر بكثير من مجرد "طفل يرى الحقيقة".

أنا وسط حرب خفية.

وأنا، شئت أم أبيت... بدأت أكون جزءًا منها.

" في الظلال تلوح النقطة التي لا تمحى "

تحت الجلد

الليل ثقيل الليلة.

الأصوات أبطأ من المعتاد.

كأنّ المدينة تتنفس بخوف، كل شهيقها صدى لسرّ لا يُقال.

ركام جلس قرب نافذته.

يراقب.

كعادته.

لكن عينيه لم تعودا كما كانتا.

والنقطة السوداء تحت عينه... بدأت تؤلمه.

إنها ليست مجرّد علامة.

إنها نبض.

كأنّ تحت جلده قلب صغير ينبض وحده، لا علاقة له بجسده.

كلّما اقترب من الكذب... تضخّمت النقطة، كلّما ابتعد، خفتت.

قال لنفسه:

ـ **"هل ما أراه هو حقيقتهم... أم لعنة فيّ؟"**

سؤال واحد ظلّ يلاحقه منذ لقاءه بذلك الرجل صاحب الظل الثقيل:

هل بإمكاني أن أغيّر شيئًا؟

**

في اليوم التالي، قرر ركام أن يختبر قوته.

لكن هذه المرة، بطريقة مختلفة.

ذهب إلى الساحة الكبيرة، حيث يجتمع الناس يوم الجمعة.

جلس على المقعد الخشبي المائل، بجوار نافورة لا تعمل.

بدأ يراقب... طفلًا يركض، امرأة توبّخ بائعة فقيرة، شرطيًا يقف بملل، رجلاً يوزّع منشورات دينية...

نظر إلى وجوههم.

ثم إلى ظلالهم.

واحد فقط... لم يكن له ظلّ.

لا، لم يكن مثل آدم... بل لم يكن له ظلّ أبدًا.

ولا حتى خط أسود خافت.

كأنه لا ينتمي لهذا المكان.

ركام وقف ببطء، اقترب من الرجل الذي كان ينظر في اتجاه معاكس، ووقف خلفه.

ـ "أنت لا تملك ظلًّا."

الرجل لم يلتفت.

قال بهدوء يشبه حفيف نار مشتعلة:

ـ "وأنت لا تملك حقّ السؤال."

ثم التفت فجأة... وجهه بلا ملامح.

عيناه مغطاتان بضوء أبيض باهت، لا سواد فيهما.

كأنهما عينا تمثال مكسور.

ـ "أنت ترى ما لا يُفترض أن يُرى.

لكنك لا تفهم بعد.

هذه المدينة لا تُبنى بالحقيقة... بل تتوازن بالأكاذيب."

ثم همس بصوت كأنّه يُشعل داخلك نارًا:

ـ "إن حاولت كسر التوازن... ستغرق."

**

ركام هرب.

ركض بلا توقف.

الشارع بدا أطول.

الناس تلتفّ حوله، لكن وجوههم تتكرر.

امرأة عجوز تضحك، فتى يقفز، طفل يبكي... نفس الوجوه، تتكرر.

نفس الظلال... تتكاثر.

حتى الهواء صار ثقيلاً... كأنه يتحد معه ضدّه.

وصل أخيرًا إلى غرفة صغيرة مهجورة خلف مبنى المدرسة القديمة.

اختبأ هناك، أغمض عينيه، وسأل نفسه بصوت مكسور:

ـ "لماذا أنا؟

ما الذي رأيته... لأستحق هذا؟"

كانت أمه تخفي أسرارًا، وآدم لا يبوح بكل شيء، والرجل الذي بلا ملامح حذّره، والمدينة تختنق بأكاذيبها، وهو وحده يرى.

لكن هل الرؤية نعمة؟

أم نقمة تتنكر في هيئة هدية؟

**

في الزاوية، كان هناك مرآة مكسورة.

لم ينظر إليها منذ زمن.

لكنّه اليوم، فعل.

تقدّم منها ببطء.

ونظر.

رأى نفسه.

رأى النقطة تحت عينه... لكنها لم تكن مجرّد نقطة.

كانت الآن دائرة متّسعة، داخلها وجه.

وجه آخر... يشبهه.

لكنّه أقدم، أكثر حكمة، وأكثر ألمًا.

والوجه... تكلم.

ـ "حين ترى الحقيقة، لا يكفي أن تتحدث...

بل عليك أن تدفع الثمن."

ركام صرخ، تراجع، سقط.

لكن المرآة لم تنكسر أكثر.

بل انعكست على الأرض، وشكّلت نقطة سوداء كبيرة... تمتص الضوء.

**

ذلك اليوم... تغيّر شيء داخله.

لم يعد طفلًا يرى الظلال.

بل أصبح جزءًا منها.

كان ركام جالسًا في العتمة، يحدّق في الأرض حيث امتدّ ذلك الظل الغريب المنبعث من المرآة.

الظل كان ساكنًا أولاً... ثم بدأ يتحرك.

كأن شيئًا ما داخله يستيقظ.

وببطء، خرجت يد.

نعم... يد سوداء تمامًا، شفافة جزئيًا، كأنها ضوء مظلم، مستحيل الوصف.

توقفت اليد على الأرض، كأنها تطلب من ركام أن يلمسها.

تراجع.

خاف.

لكن في داخله، صوت آخر قال له:

"إما أن تهرب للأبد، أو تبدأ بفهم ما أنت عليه."

تقدم ركام ببطء... ثم لمسها.

**

فجأة، اختفت اليد... واختفت الغرفة.

وجد نفسه في مكان آخر.

مكان بلا جدران، بلا سقف.

فضاء داكن لا نهاية له، تتناثر فيه صور... مشاهد... ومقاطع من ذاكرة ليست له.

طفل يُسحب من يد أمه.

صراخ.

بوابة تُغلق.

عيون تبكي خلف زجاج...
ثم رجل بثياب رمادية، يحمل خريطة وعينًا من زجاج.

وصوت... صوت أنثى يقول:

ـ "الذين يملكون النقطة... هم حماة التوازن.
لكنهم دومًا يُؤخذون قبل أن يعرفوا.
وحدهم من يرفض أن يغمض عينه... ينجو."

ركام صاح:
ـ "ماذا تعنين؟ من أنتم؟"

لكن المكان بدأ يتفكك.
الصور تنزلق، كأنها تمحى.
صوت الريح يصرخ، وشعور بالدوخة ينهش رأسه.

ثم...
فتح عينيه.

عاد إلى الغرفة الصغيرة.
كل شيء كما كان... إلا شيء واحد:

على جدار الغرفة... كُتبت جملة بالفحم الأسود:

"أنت التالي."

**

ركض ركام للمنزل.

فتح الباب بقوة.

رأى أمه جالسة على الأرض، تضع رأسها بين يديها، تبكي.

ـ "أمي؟"

رفعت عينيها... كانت ملامحها محطمة.

ـ "ركام... هم يعرفون."

ـ "من هم؟ ولماذا أنا؟ وما هي هذه النقطة؟ وما الذي تخفينه عني؟"

سكتت... ثم قالت:

ـ "كان والدك يملكها أيضًا."

صُعق.

ـ "أين هو؟"

ـ "لم يمت كما قلت لك. لقد اختفى... يوم كشف الحقيقة... يوم تحدّث عنهم علنًا."

ـ "ومن هم؟"

همست بصوت منخفض كأنها تنطق طلاسم:

ـ "الظل الأعلى...

الذين يتحكمون في تاريخ المدينة...

الذين يمحون ويكتبون...

أصحاب الذاكرة البديلة."

ركام جلس على الأرض.

كل ما كان يعرفه لم يعد حقيقيًا.

هو ليس مجرّد طفل يرى الكذب.

هو سليل رؤية... وربما، هدفٌ لشيء لا يُرى.

**

في تلك الليلة، نام ركام في حضن أمه، للمرة الأولى منذ أعوام.

لكنه لم يشعر بالراحة.

بل بشيء آخر...

إحساس بأن أحدًا ما... كان يراقبه من خلف الحائط.

" كل نقطة سوداء تضيء جانباً مظلماً من الروح "

مفتاح الغائب

في صباح رمادي، لا شمس فيه ولا ظل واضح، استيقظ ركام وعلى جسده ارتجاف داخلي كأن شيئًا فيه كان يُولد من جديد.

البيت صامت.

أمّه لم تكن هناك.

فقط ورقة صغيرة على الطاولة، بخطّ يدها المتعب:

"اذهب إلى المكتبة القديمة.

اسأل عن القبو المحظور.

وثق بما لم يُكتب."

قرأها مرة، ثم أعادها.

لكن كلمتين علقتا في ذاكرته مثل شظيتين:

"القبو المحظور".

"ما لم يُكتب".

**

ركام لم يتردّد.

ارتدى معطفه البني المهترئ، وضع كوفيته القديمة، وانطلق نحو الساحة الشمالية.

هناك، خلف مبانٍ متهالكة تنام تحت طبقات الغبار، كانت تقبع مكتبة المدينة القديمة.

مبنى حجري بلون العاج، تتدلى من شرفاته نباتات جافة، وساعة معلّقة توقفت عند الثامنة واثنتين وعشرين دقيقة منذ سنوات.

**

دفع الباب الخشبي الصدئ... فأصدر صوتًا كأنّه تنهيدة زمن بعيد.

دخل بخطوات حذرة.

الرائحة... رطوبة، ورق، وشيء آخر:

زمن محفوظ تحت الرماد.

في الداخل، كان هناك رجل عجوز أصلع، يرتّب رفًّا من الكتب القديمة.

كان ينظفها بفرشاة صغيرة كما يُنظف الجرح.

اقترب ركام منه ببطء وقال:

ـ "أبحث عن القبو المحظور."

تجمّد العجوز.

ثم استدار ببطء كأن الزمن يدير رأسه، لا جسده.

حدّق في ركام طويلًا، بعينين بلون العسل المعكر، ثم قال:

ـ "كثيرون يبحثون... لكن القليل يجرؤون على الفتح."

ثم أشار نحو الرف الأخير وقال:

ـ "افتح الكتاب التاسع في الصف الرابع. اقرأ ما بين السطور."

**

ركام تقدّم نحو الرف.

الصف الرابع، الكتاب التاسع.

كان عنوانه: "ذاكرة الحجر".

فتحه... لم يجد شيئًا غريبًا.

مجرد نصوص تاريخية، وصف لحروب قديمة، ملوك، تماثيل...

حتى وصل إلى الصفحة 47.

كان هناك سطر مكتوب بحبر باهت لا يُرى إلا بزاوية معيّنة من الضوء:

"من لا ظل له... لا يُذكر."

تردّد ركام لحظة.

ثم ضغط على الحافة اليمنى للصفحة... فصدر صوت "طَقّ" خافت.

الرف تحرّك قليلاً.

ثم... انفتح.

**

وراء الرف... ممر ضيق مظلم.

درج حجري ينزل ببطء نحو الأسفل.

العجوز لم يتحرّك.

قال فقط:

ـ "ادخل وحدك. وخُذ ما تستطيع احتماله."

**

نزل ركام.

كل خطوة كانت أعمق من السابقة.

كأنّه لا ينزل في مبنى... بل داخل نفسه.

وصل إلى غرفة باردة.

فيها طاولة خشبية، وخزانة معدنية صدئة، وصندوق مغلق بعلامة غريبة: دائرة تحيط بعين تخرج منها نقطة سوداء.

نقطة... تمامًا كشكل تلك العلامة تحت عينه.

**

على الطاولة، وُجد دفتر قديم، غلافه جلدي، عليه نفس العلامة.

فتح الصفحة الأولى... فشهق.

كانت هناك صورة.
أبيض وأسود.
رجل طويل يبتسم بخجل، يضع يده على كتف طفل صغير لا يتعدى الخامسة.

الرجل هو والده.
والطفل... هو ركام.

**

توالت الصور والوثائق:

تقرير طبي يحمل اسم "جلال مراد" (اسم والده)، مكتوب عليه:
"خطر: يمتلك النقطة. يخترق الأكاذيب."

خريطة مرسومة بخط يدوي لأماكن مشطوبة، ومواقع كُتب تحتها:
"مراكز إعادة الكتابة".

قصاصات من خطابات إذاعية مشفّرة.

وأخيرًا... رسالة بخطّ والد ركام، مؤرخة قبل اختفائه بشهر:

"ركام،
إن قرأت هذا، فهذا يعني أنني لم أستطع العودة.
لا تبحث عن الحقيقة فقط... افهم ثمنها.
لا تثق بأصحاب العيون اللامعة.
المنظمة ستلاحقك، لأنك ترى... لأنك تشبهني.
لا تكن أنا.
كن أنت، ولكن بشجاعة لم أملكها."

**

ركام أغلق الرسالة، لكنه لم يشعر بالخوف هذه المرة.
شعر بشيء آخر...

المعنى.

**

عندما عاد للأعلى، كان العجوز قد اختفى.
والمكتبة... كانت مغلقة من الداخل.

وحده كان يقف هناك.
وبيده دفتر أبيه، وفي عينه تلك النقطة... التي لم تعد مجرد علامة.

**

كان يعرف الآن... أن اللعبة بدأت.

وأنه لم يعد طفلًا يرى الكذب...
بل صوتًا في مدينة أُجبرت على الصمت.

" كلما ازدادت الرؤية وضوحاً ، ازدادت الوحدة عمقاً "

أصحاب العيون اللامعة

لم يكن الهواء نفسه حين خرج ركام من المكتبة.
كان الشارع فارغًا كأن المدينة حبسَت أنفاسها.
شيء ما تغيّر... فيه، وحوله.

كان الدفتر الجلدي يضغط على صدره من الداخل، يلتصق بقميصه كقلب آخر.
كل سطر فيه، كل صورة، كانت صدى لنداء قديم:
"أنت لست ابن اللحظة... بل ابن السر."

**

ركب الحافلة دون أن يدري إلى أين يتجه.
الناس حوله... كأنهم يبتلعون الحقيقة بأعين صمّاء.
كل واحد في عالمه، يحدّق في شاشة، أو في الفراغ،
لكن ركام كان يحدّق في عيونهم.

كل عينٍ كان يبحث فيها عن النقطة السوداء.
لم يرَ شيئًا.

حتى... صعدت امرأة.

**

كانت في الأربعين، أنيقة، ترتدي نظارة سوداء، وتشتم بعطر يشبه الورد المحروق.
لكن شيئًا فيها لم يكن طبيعيًا.

حين مرت بجانبه... التقت عيناها بعينه.

شعر بقشعريرة.

ثم، للحظة خاطفة، رأى خلف النظارة...
وميضًا في العين اليمنى.
لامع، بارد، كأنه شظية زجاج.

نظر نحوها بسرعة...
فابتسمت له كأنها عرفته منذ زمن، ثم قالت بصوت خافت:

ـ "جميل أن يرث الابنُ عيون أبيه."

ركام جَمُد.
كيف عرفت؟
من تكون؟

لكنها تقدمت، جلست، وأخرجت شيئًا من حقيبتها.

مرآة صغيرة.

فتحتها، وأدارتها نحوه ببطء.
ورأى في انعكاسها وجهه... لكن عينه كانت تختنق بنقطة أكثر سوادًا من قبل.
أعمق.
متّسعة.

قالت المرأة:
ـ "أنت ترى... لكنك لا تعرف بعد ما الذي ترى."

ثم أغلقت المرآة.
وقبل أن يسأل، كانت قد نزلت من الحافلة... واختفت.

**

حين عاد للبيت، وجد بابه مفتوحًا.

دخل مسرعًا.

كل شيء مقلوب.
الكتب مبعثرة، الخزانة مكسورة، والرسالة التي تركها والده... ممزّقة إلى نصفين.

لكن الورقة البيضاء الوحيدة التي ظلت على الطاولة، كان عليها:

"أصحاب العيون اللامعة ليسوا بشرًا دائمًا.
إنهم ظلال الأفكار التي لم تُدفن.
احذر أن تنظر طويلًا في عينٍ لا ترمش."

**

أدرك حينها أن الأمر أكبر من منظمة.
أكبر من كذب.

إنه يُلاحق الآن من لا يريدون للحقيقة أن تتنفس.
من يجعلون الذاكرة تُكتب حسب الطلب.
من يُعيدون كتابة الوجوه... ويكذبون من خلال الصمت.

**

ركام...
لم يعد يريد الهرب.
ولم يعد يملك ذلك الحق.

إنه سيرى... سيكشف...
وسيحرق كل ما بُني على الأكاذيب.

حتى لو أصبحت عينه...
أكثر سوادًا.

ركام جلس على الأرض وسط فوضى الغرفة.
حاول أن يستوعب كل ما حصل، لكن عقله كان أشبه بورقة تمزّقت تحت المطر.
كل فكرة تختفي قبل أن تكتمل.

أعاد تجميع بقايا الرسالة، حاول لصق الكلمات بعينيه قبل يديه:

"...لا تثق بأصحاب العيون اللامعة...
إنهم يرونك... حتى حين تُغمض عينيك..."

**

دقّت الساعة الثالثة.
كان صوتها يشبه نبضات قلبه المتسارعة.

رنّ هاتف المنزل القديم، لأول مرة منذ أشهر.
تردّد، ثم رفع السماعة.

الصوت من الجهة الأخرى كان خافتًا، لكن واضحًا...

أنثوي... بلا نَفَس.

ـ "ركام... هل رأيتهم؟"

ـ "من أنتِ؟"

ـ "أنا من تبقّى ممن لا يُمكنهم الكذب."

ـ "أين أمي؟!"

ـ "في أمان... حتى الآن. لكن إن لم تتحرّك... سيفقد الجميع الذاكرة. وسيصبح وجودك... مجرد حلم منسي."

ركام تمسّك بالسماعة كأنها حبل نجاة.

ـ "لماذا أنا؟!"

ـ "لأنك الوحيد... الذي ما زال يرى النقطة."

**

انقطع الخط.

لم يجد نفسه إلا واقفًا أمام المرآة.

حدّق في وجهه، طويلاً.

النقطة السوداء تحت عينه لم تعد مجرّد علامة.

كانت كأنها نافذة... لا يرى الناس من خلالها، بل يرى ما خلفهم.

ما يُخفونه، ما يُقمع، ما يُحرّف.

رأى وجوهًا كثيرة في عينيه... أصدقاء المدرسة الذين كذبوا عليه، معلمًا قال له إنه لن يصبح شيئًا، رجالًا في الحيّ يخفون الألم خلف الضحك، أمه حين قالت له إن والده "سافر فقط"...

رأى كل الأكاذيب الصغيرة تُضيء تحت جلده.

**

فجأة، سمع صوت طَرق.

طرقات بطيئة، منتظمة، على الباب الخارجي.

واحدة...

اثنتان...

ثلاث.

فتح الباب بخوف... فلم يجد أحدًا.

لكن أمام العتبة، كانت هناك علبة سوداء صغيرة، مربوطة بشريط أحمر.

فتحها...

في الداخل، صورة قديمة، ممزقة إلى نصفين.
فيها وجه والده...
وفي الخلف، كتابة بخط رفيع:

"إذا أردت الحقيقة... ابدأ من الغرفة رقم 6."
وبجانب الصورة... مفتاح نحاسي صغير، عليه علامة غريبة:
عين مغلقة، وتحتها نقطة.

**

كان يعرف هذه العلامة.
رآها مرة في حلم،
ومرة في رسم على يد رجل ميت حين كان طفلًا.
والآن... تعود إليه كأنها توقيع مصيره.

ركام أمسك المفتاح.
لم يكن يملك خطة، لكنه امتلك شيئًا أخطر:

الإصرار.

**

قبل أن يغادر بيته، التفت للمرآة.
للمرة الأولى... ابتسم لنفسه،
وقال بصوت هادئ:

ـ "أنتم ترونني...
لكنني سأجعلكم ترون أنفسكم."

ثم أغلق الباب خلفه...
وخرج نحو المجهول.

" هل ترى النقطة، إنها تدعوك للبحث أعمق "

الغرفة رقم 6

كان الليل قد ذاب في شوارع المدينة، حين وقف ركام أمام المبنى.

مبنى مهجور، طوابقه تتآكل، والنوافذ كعيون منطفئة.
على اللوحة الخارجية، بالكاد تُقرأ الكلمات الباهتة:

"مركز التأهيل النفسي – الوحدة الشرقية"

قال لنفسه:
ـ "هنا إذًا... تبدأ الذاكرة."

**

كان الباب الأمامي موصدًا بسلاسل قديمة، لكن المفتاح الذي وُجد في العلبة... انزلق فيه كما لو خُلق له.

فتح الباب.

رائحة الرطوبة والذكريات الثقيلة ضربت أنفه دفعة واحدة.

كل شيء في الداخل كان كأنه ينتظره:
الكراسي المقلوبة، الحوائط المليئة بالخدوش، والسقف المتشقّق.

**

تقدّم ببطء، يبحث عن الغرفة رقم 6.

كل باب كان يحمل رقمًا.
لكن الغرفة السادسة... لم تكن على يمين الممر، ولا على يساره.

بل خلف لوحة كبيرة في نهاية الرواق، مرسوم عليها وجه مبتسم بألوان باهتة.

**

حين اقترب، لاحظ خدشًا صغيرًا عند أسفل اللوحة.

رفعها ببطء...

وهناك...
باب خشبي ضيق، خالٍ من المقبض، عليه الرقم 6 محفور كأنه جُرح.

ضغط بيده... فانفتح الباب.

**

داخل الغرفة، كانت هناك شمعة واحدة مشتعلة،
ومقاعد خشبية تحيط بطاولة دائرية.

وعلى أحد المقاعد، جلس رجل في الخمسينات، شعره أبيض فوضوي، عيناه لا تتوقفان عن التحديق في اللاشيء.

قال قبل حتى أن يدخل ركام:

ـ "أخيرًا... ابن خالد."

**

ركام وقف متجمّدًا.

ـ "من... من أنت؟"
ـ "اسمي سادن. كنت صديق والدك... قبل أن يُمحى اسمي من الذاكرة."
ـ "هل تعرف الحقيقة؟"
ـ "لا أحد يعرفها كاملة... لكننا نملك قطعًا منها."

أشار إلى الطاولة، حيث كانت هناك خريطة قديمة ممزقة.
وعلى زواياها علامات...
وأسماء.

**

سادن تابع:

ـ "والدك لم يكن موظفًا بسيطًا، بل كان أول من رأى النقطة السوداء. لم تكن وراثية... بل هِبة من حادث غامض في طفولته. تمامًا كما حصل لك."

ـ "هل قُتل؟"

ـ "لم يُقتل... بل حُذفت قصته. جسده حيّ، لكن ذاكرته... ليست له."

**

ركام شعر بأن الأرض تميد تحته.

ـ "وأمي؟"

سادن صمت طويلاً، ثم قال:

ـ "كانت معهم... ثم انقلبت عليهم. لهذا اختفت."

ـ "من هم؟ من هذه المنظمة؟!"

ـ "ليس منظمة واحدة... بل شبكة. تُغيّر وجوهها وأسماءها. لكن هدفها واحد: أن تصنع ذاكرة جماعية مزيّفة."

**

ركام أمسك بالخريطة.

كانت هناك خطوط حمراء متقاطعة، وكل خط يؤدي إلى مكان يحمل اسمًا:

"مرآة الصمت"

"الطابق الناقص"

"الطفل رقم صفر"

"حديقة المنسيين"

"عين الكذب"

ثم اسم واحد في النهاية:

"غرفة الحقيقة."

**

سادن قال بصوت واهن:

ـ "الغرفة رقم 6 هي البداية فقط. أنت الآن داخل اللعبة... لكن اللعبة ستبدأ عندما تفتح عينك تمامًا."

ركام نظر إليه.

ـ "كيف أفتحها؟"

ـ "حين تكون مستعدًا لرؤية الحقيقة... حتى لو كانت قاتلة."

**

فجأة... انطفأت الشمعة.

وصوت خارج الباب... خطوات تقترب.

سادن همس:

ـ "لقد وجدوك... خذ الخريطة، اهرب من الباب الخلفي... ولا تعد."

ركام لم يتردد.

أخذ الخريطة، اندفع نحو المخرج الخلفي، وركض وسط الظلام...
بينما خلفه، كان شيء ما يُغلق الباب الحديدي على الرجل العجوز... بصوت يشبه النهاية.

**

وفي الخارج،
توقفت سيارة سوداء.

في داخلها، فتاة في العشرين، ذات عين رمادية... لا ترمش.

فتحت النافذة، وقالت لركام:

ـ "إذا كنت تريد إنقاذ والدك... اركب.
لكن لا تسأل عن اسمي... لأنه لم يعد موجودًا."

" في النهاية يبقى فقط من يملك الشجاعة ، لرؤية ما وراء النقطة "

مرآة الصمت

داخل السيارة، كان الصمت أثقل من الكلام.

ركام يحدّق في الفتاة التي تقود.

شعرها أسود كالليل، ووجهها بلا تعبير.

لكن ما شدّه أكثر... تلك النقطة البيضاء تحت عينها اليمنى.

ـ "أنتِ..."

ـ "نعم، أملك النقطة. لكنها عكسك. أنا أُخفي... وأنت تكشف."

**

عيناها ظلّتا مثبتتين على الطريق.

كل منعطف كان يؤدي إلى عالم أقل واقعية.

كأن الشوارع لم تكن على الخريطة.

ـ "إلى أين نذهب؟"

ـ "إلى أول نقطة في الخريطة... مرآة الصمت. إن كنت مستعدًا، ستخرج منها مختلفًا. وإن لم تكن... لن تخرج."

**

بعد ساعة كاملة من الصمت، توقفت السيارة أمام مبنى رمادي مائل، كأنه انحنى من ثقل الأسرار.

على بابه، كُتبت عبارة بالدم الجاف:

"لا تتكلم... وإلا تكلمت المرآة."

**

دخل ركام، وحده.

المكان أشبه بمتحف مكسور:
جدران من المرايا، كل واحدة بحجم إنسان، مصطفّة على شكل متاهة.

وفي المنتصف... مرآة واحدة فقط، مغطّاة بقماش أسود، موضوعة على منصة حجرية.

اقترب منها.

سمع صوته في رأسه:

ـ "كل من نطق أمامها... انكسرت صورته للأبد."

**

تردّد، ثم مدّ يده... وأزاح الغطاء.

المرآة لم تعكس صورته كما توقع.

بل عكست أجزاء منه:

يده الصغيرة حين سرق من المتجر،
دمعة لم يرها أحد حين مات جدّه،
نظرة حسد نحو زميله في الفصل،
كلمة جارحة قالها لأمه حين غضب...

**

كل شيء خفي... كان هناك.
لا رحمة، لا مجاملة.

ركام لم يكن يرى "نفسه"،
بل ذاكرته العميقة... كما هي.

**

ثم تغيّرت الصورة.

رأى أباه... جالسًا في مكان مظلم، وحوله شاشات تعرض وجوهًا.

ثم رأى أمّه... تمشي في نفق طويل، وعلى كتفها طفل غريب.

ثم... رأى هو نفسه، لكن بعينين لا تشبهانه.

**

فجأة، انطفأت كل الصور.

وبدأ صوت غريب يهمس:

ـ "إذا أردت الحقيقة... عليك أن تصمت.
لا تسأل... راقب. لا تحكم... افهم.
النقطة ليست نعمة... إنها امتحان."

**

تشقّقت المرآة فجأة، وتطاير منها ضوء.

وفي داخله... خريطة جديدة.

لكنها لم تكن ورقية.

بل ظهرت مباشرة على جلده.
كأن جلده نفسه أصبح جزءًا من الرحلة.

**

خرج ركام من المبنى، ووجهه مختلف.

الفتاة كانت تنتظره، لكنها هذه المرة ابتسمت.

ـ "الآن... صمتك يتكلم."
ـ "ما الخطوة التالية؟"
ـ "الطابق الناقص."

ـ "ما هو؟"
ـ "طابق... لا يظهر إلا للذين فقدوا شيئًا لا يُعوض."

**

ركام لم يجب.
لكنه شعر بشيء داخله يتكسّر...
ربما كان البراءة، أو الثقة، أو الخوف.

الطابق الناقص

وصلت السيارة إلى مبنى مهجور وسط حيّ قديم.

لافتة متآكلة كتبت عليها:

"عمارة الفجر – من الطابق الأول إلى السادس"

لكن الفتاة أشارت ببرود:

ـ "هذه كذبة. المبنى يحتوي على سبعة طوابق... ولكن السابع لا يُفتح إلا لمن فقد ما لا يُعوّض."

ركام نظر إليها متسائلًا:

ـ "ماذا فقدتِ أنتِ؟"

ـ "أنا؟ فقدتُ القدرة على التذكر."

**

دخلا المبنى.

الدرج كان يئنّ تحت أقدامهما. كل طابق له رائحة... كأن الذاكرة تسكنه.

وصلوا الطابق السادس.
هناك توقف كل شيء.

لا باب، لا درج، لا سلم إضافي.

فقط حائط أبيض... ساكن.

لكن ركام شعر بها.

الاهتزاز. الصوت الخفي. الدعوة.

مدّ يده... ولامس الحائط.

فانفتح ببطء، كأنه تنفّس.

**

خلف الحائط... درج صغير مائل.

صعده وحده، بينما بقيت الفتاة تنتظر في الأسفل.

**

دخل الطابق السابع.

الطابق الناقص.

**

لم يكن كما توقع. لا ظلام... لا رعب.

بل غرفة أطفال.

ألعاب على الأرض، أوراق مرسومة، سرير صغير، وعصفور محنّط فوق الرف.

ركام تقدّم... ثم رأى الصورة.

كانت صورة قديمة معلقة على الجدار.

هو... وأبوه... وأمه... وطفل آخر.

**

تجمّد.

ـ "من هذا؟!"

لم يكن يتذكر أن له أخًا.

الصورة تبدو حقيقية.
هو في الرابعة... والطفل في الثالثة تقريبًا.

نظر إلى الرفوف، فوجد ألبومًا صغيرًا.
صفحاته مليئة برسوم طفل... يكتب اسمًا واحدًا:

"رِيان"

**

ركام سقط على ركبتيه.

ذاكرته تُكسر أمام عينيه.

ـ "كان لي أخ؟ لماذا لم يخبرني أحد؟"

**

صوت خلفه أجابه:

ـ "لأنهم محوه. محوه من الصور، من الروايات، من الشهادات... وحتى من ذاكراتنا. لكنه هنا... في الطابق الناقص."

**

استدار.

كانت هناك امرأة مسنّة، بثوب أبيض، وشعر رمادي طويل.

قالت بهدوء:

ـ "أنا خادمة هذا الطابق. أحفظ ما يُمحى."

ـ "لماذا ريان؟ ماذا فعل؟"

ـ "لم يكن يفعل... كان يرى. رأى أشياء لم يحتملها النظام."

**

ركام اقترب منها:

ـ "هل هو... حي؟"

ـ "ليس حيًا... وليس ميتًا. هو في النسيان. أنت الوحيد الذي يستطيع استعادته."

ـ "كيف؟"

ـ "بأن تذهب إلى المكان الأخير في الخريطة... غرفة الحقيقة."

**

وقبل أن يخرج، أعطته المرأة شيئًا.

دُمية قماشية ممزقة.

قالت:

ـ "هذه كانت لعبته. ستقودك إليه... إن كنت تملك الشجاعة لتتبع ذاكرة لا تخصك وحدك."

**

نزل ركام، والدمية بين يديه.

الفتاة انتظرته بصمت، لكنها نظرت إلى عينيه... فارتبكت للحظة.

ـ "ماذا رأيت؟"

ـ "أنا... لست وحدي في ذاكرتي."

**

صمتت.

ثم قالت:

ـ "الخطوة التالية... هي الأصعب. غرفة الحقيقة لا ترحم من يكذب على نفسه."

ركام عقد يده على الدمية.

وقال:

ـ "أنا جاهز."

حديقة المنسيين

لم تكن الحديقة على خريطة، ولا عرف أحد الطريق إليها، ومع ذلك... وجدها ركام.

لم يقُده دليل، بل شيء يشبه النداء... نداءً يأتي من نقطة الألم تحت عينه، كأنها صارت بوصلته.

**

الطريق كان ترابيًا، ضيقًا، تفترشه أوراقٌ ميتة تئنّ تحت أقدامه.

كلما تقدّم، بدا الهواء أثقل... والسماء أقل زرقة.

أصوات الطيور خفتت.
الأشجار استقامت كأنها تحرس شيئًا.
ثم... ظهرت البوابة.
**

ضخمة، حديدية، وقديمة كأنها مرّت بعمرين على الأقل.

عليها كُتبت جملة بلون صدئ:

"مرحبًا بمن نسِيهم الجميع... ورفضوا نسيان أنفسهم."

ركام توقّف.

أحسّ بشيء غريب داخله... كأن أحدًا ما خلف الباب يعرفه.

**

فتح البوابة فصدر صوتٌ معدني حاد، يشبه صراخًا محبوسًا.

ودخل.

**

الحديقة لم تكن حديقة، بل مقبرة ذاكرة.

لا زهور، لا طيور، لا حياة.

بل... دمى.

دمى من قماش، وخشب، وبلاستيك، متدلّية من أغصان الأشجار، كأنها أُعدمت.
كل دميةٍ تحمل وجهًا حزينًا، أو عينًا مفقوءة.

أرض الحديقة متشققة، وفي الشقوق... كانت أصابع صغيرة تُحاول الخروج.

**

ركام شهق.

اقترب من أول شجرة، فسمع همسًا:

ـ "ماما؟ هل عدتِ؟"

اقترب أكثر...
فعرف أن الصوت جاء من الدمية.

ثم تحركت.
رفعت رأسها، ونظرت إليه مباشرة، وقالت:

ـ "أنت تملك النقطة... أنت جئت."

**

هرب إلى وسط الحديقة.

كل شيء يناديه... كل شجرة، كل ورقة، كل دمية.

ثم... توقّف أمام تمثال حجري.
طفل صغير يحمل كتابًا مكسور الغلاف.

وعلى القاعدة:

"ريان عبد الكريم – 2012"

**

ركام جثا على ركبتيه.

ـ "ريان... أنا وجدتُك، ولو ظلّوا يحاولون إخفاءك."

**

لكن التمثال... ذاب.

نعم، ذاب كما يذوب الشمع، ليتحوّل إلى باب خشبي صغير ظهر من العدم.

وفوق الباب، وُضعت مرآة مكسورة.
وعندما نظر فيها ركام، لم يرَ نفسه، بل... كل الذين نسيتهم الذاكرة.

أطفالٌ بلا أسماء.

رجالٌ بلا وجوه.

نساءٌ بأفواه مخيطة.

**

ثم ظهر شخص حقيقي.

امرأة مسنّة، تتكئ على عصا، تمشي ببطء من وراء الأشجار.

كان وجهها مغلفًا بشاش أسود، لا يظهر منه سوى فمها المشقق.

قالت:

ـ "أنتَ الأخير الذي وصل."

ـ "من أنتِ؟"

ـ "أنا أمّ ريان."

**

ركام اقترب ببطء:

ـ "لكنكِ... اختفيتِ من الصور... من القصص..."

ضحكت المرأة بمرارة:

ـ "لأني قلت الحقيقة، فاختاروا أن ينسوني."

وسارت حوله، ثم همست:

ـ "ريان لم يمت... لكنهم وضعوه في صندوق... وتركوه هنا. لا يُمكنك الوصول إليه إلا إذا كنت تحمل النقطة."

**

ركام أخرج المرآة الصغيرة التي وجدها قرب دمية، وسأل:

ـ "هل هذه هي المفتاح؟"

هزّت العجوز رأسها، وأشارت إلى وسط الحديقة.

كانت هناك بئرٌ مغطاة.

ـ "افتحها... إن تجرأت."

**

اقترب ركام من البئر.

رفع الغطاء الصدئ، فرأى سلّمًا ينزل إلى أسفل.

لكنه لم يكن مجرد سلم... بل سلّم من ذكريات.

كل درجة كان يخطوها... تخرج منها صرخة، أو دمعة، أو ذكرى.

**

وصل إلى القاع.

فرأى نفسه أمام جدار طيني، عليه رسم بالطباشير:

"ركام + ريان = لا نُنسى أبدًا."

**

حين لمس الجدار... انشق.

وخرج منه نورٌ ساطع.

فيه صورة ريان... عيونه كما يتذكرها: واسعة، لامعة، ومليئة بالأسئلة.

وصوتٌ همس:

ـ "أنا هنا... كنت أنتظرك."

**

ركام صرخ:

ـ "ريان؟! هل تسمعني؟"

الصوت أجاب:

ـ "اقترب أكثر... ولا تخف. الحقيقة لا تقتل، لكنها تُغير."

**

ثم بدأ كل شيء يهتز.

الحديقة تئنّ.

الدمى تسقط من الأغصان.

الأرض تنفجر منها أصوات.

وركام فهم شيئًا:

هذه ليست حديقة... هذه قلب ذاكرته.

**

ركض نحو الضوء.

نحو الصندوق الذي احتُجز فيه ريان.

وكان عليه أن يفتحه...

حتى لو كانت الحقيقة أثقل من أن يحملها قلب طفل.

**

"كنت أظن الكذب صوتًا ... حتى رأيته نقطة تحت العين "

الصندوق الذي يحبس الحقيقة

كل شيء في الحديقة بدأ يختفي... كأنها تُطوى مثل صفحة من كتاب قديم لم يقرأه أحد.

ركام وقف أمام الضوء الذي خرج من الجدار المشقوق، قلبه يدق بشدة، وعقله يصارع صورًا لم يرها من قبل.

**

كان النور يُفضي إلى غرفة صغيرة... في وسطها صندوق خشبي أسود.

ليس عاديًا.
ليس مغلقًا بقفل، بل بكلمة سرّ منسية.

وفوقه وُضعت ورقة واحدة، بخطّ طفل:

"لا تفتحني... إلا إن كنت تريد أن تنسى من تكون."

ركام تردّد.

من يكون أصلًا؟

ومن قال إنه لا يريد أن يتغيّر؟

**

اقترب من الصندوق.

مدّ يده.

لكن قبل أن يلمسه... سمع صوتًا طفوليًا قادمًا من داخله:

ـ "هل أنت... ركام؟"

ـ "نعم... من أنت؟"

ـ "أنا الحقيقة... ولكني ألبس وجه ريان."

**

اهتز قلب ركام، وقال بهدوء:

ـ "أنا أبحث عن ريان منذ سنوات... قيل لي إنه مات، وإنه لم يوجد أصلًا."

ـ "وهل كنت تصدّقهم؟"

ـ "لا. لذلك أنا هنا."

**

فُتح الصندوق... دون أن يلمسه.

صوت خشبي عميق، كأن ذاكرة بأكملها تُفتح.

من داخله، خرج ضوء رمادي، كثيف، يدور حول ركام.

ثم... ظهرت صورة.

**

ريان، طفل في العاشرة، يجلس في زنزانة من زجاج، عيناه مشدودتان إلى ركام.

لم يكبر.
لم يتغير.

كأن السنوات لم تمرّ عليه.

ـ "ركام... أخيرًا جئت."

ركام همس:

ـ "أين أنت؟ كيف أُخرجك؟"

**

الصندوق ردّ:

ـ "ريان ليس في الخارج. ريان حُبس في فكرة. في كذبة. في جملة قالها الكبار وأجبروك على تصديقها."

ـ "أي جملة؟"

ـ "أن ما لا يُذكر... لا يوجد."

**

ركام صرخ:

ـ "لكنه موجود! أنا أتذكره! أعرف ضحكته، صوته، كل شيء فيه!"

الصندوق اهتز، وكأن اعتراف ركام حطّم جدرانه.

خرجت من داخله آلاف الأصوات... أصوات منسيين، صغارًا وكبارًا، كلهم يقولون:

"نحن لم نُخلق للنسيان... لكن نُسينا لأنهم خافوا منا."

**

وفجأة... انفجر الصندوق.

تحوّل إلى دخان أسود، وعمّ المكان ظلام قصير.

حين انقشع، وجد ركام نفسه في حجرة حجرية، والطفل ريان جالس أمامه.

**

ريان كان يبتسم.

ـ "أنت غيرت شيئًا. كنتُ أنتظر من يُنكر النسيان."

ـ "لكن... لماذا أراك الآن؟"

ـ "لأنك صرت تحمل الحقيقة تحت عينك. تلك النقطة السوداء... ليست لعنة، بل عهد."

ركام سأل:

ـ "عهد؟"

ـ "أن لا تسمح للزيف أن يستمر، ولا تُصدّق ما يُقال فقط لأنه شائع."

**

ريان اقترب.

مدّ يده الصغيرة، ولمس نقطة ركام.

فأحس الطفل بحرارة غريبة تنتشر في جسده... ليست مؤلمة، بل كاشفة.

في ثوانٍ، بدأت وجوهٌ تظهر حوله... وجوه من الماضي، منسية، مشوّهة، لكنها حقيقية.

**

ريان قال:

ـ "كل من يُنسى، يعيش فيك الآن. كل من صمت، ترك لك صوته."

ركام شعر بثقل، لكنه لم يتراجع.

ـ "سأحملهم. وأتكلم عنهم. حتى لو سخروا مني. حتى لو قالوا إنني أتوهم."

**

ابتسم ريان، وقال:

ـ "حين تنسى الناس أسماءهم... أنت تذكّرهم بها."

ثم بدأ يختفي.

**

ركام صرخ:

ـ "لا تذهب! نحن بحاجة إليك!"

ـ "أنا لست ذاهبًا... أنا أعود إليك."

**

واختفى ريان.

لكنه لم يذهب فعلاً.

في المرآة التي يحملها ركام، ظهر اسمه مجددًا... واضحًا، محفورًا، لا يمكن مسحه:

"ريان عبد الكريم – شاهدٌ لا يموت."

**

وحين عاد ركام إلى سطح الحديقة، وجدها تغيرت:

الدمى لم تعد ميتة.
الورود بدأت تنبت من الأرض اليابسة.
والشمس... لأول مرة تشرق داخل المكان.

**

ركام خرج من البوابة، وفي يده شيء جديد:

صوت.

لم يعد يرى الحقيقة فقط...

بل صار يقولها.

وذلك، أخطر من أي نقطة.

المدينة التي تنسى

خرج ركام من الحديقة، لكنه لم يرجع إلى نفس العالم.
كأنّ رحلته داخله فتحت أبوابًا كانت مغلقة في الخارج أيضًا.

كان في شارع يعرفه، لكن لا أحد يعرفه.
الناس يمشون بسرعة، عيونهم نحو الأرض، وجوههم ملساء بلا تعابير... وكأنهم نسخٌ مكررة.

**

ركام اقترب من رجل مسن يجلس على كرسي بلا حراك.
سأله:

ـ "هل تعرفني؟"

الرجل لم يرد.
لكن حين نظر في عينه، ظهرت النقطة السوداء... تتّقد تحت عينه اليسرى.

ـ "أنت... تراها؟"
ـ "كنت أراها، لكن تعبت من الحقيقة."

**

تابع طريقه.

كل شخص مرّ به... لا يتكلم.

فقط يبتسم ببرود، كأن العالم في حلم كبير لا يريد أحد أن يستيقظ منه.

**

وقف ركام فجأة.

كل من حوله... كانت لديهم نفس العيون.

نفس الابتسامة.

نفس الخطوة.

**

همس:

ـ "هذه ليست مدينة... إنها مسرح كبير، وكل الناس فيه يؤدون دورًا لا يعرفونه."

**

اقترب من طفل صغير، عمره ربما خمس سنوات.

كان يبيع الحلوى، ووجهه مشوّه بندبة فوق حاجبه الأيسر.

ـ "ما اسمك؟"

ـ "لا أتذكر. لكنهم ينادونني: رقم 47."

**

ركام سأل بدهشة:

ـ "لماذا لا تملك اسمًا؟"

ـ "لأنهم قالوا الأسماء تجعلنا مختلفين، والاختلاف يسبب وجع الرأس."

**

هز ركام رأسه.

كان يحس بشيء يتمزق فيه.

**

دخل زقاقًا ضيقًا، فسمع ضحكة مكتومة.

ركض نحوها... فوجد فتاة في السابعة عشرة، تكتب شيئًا على جدار، قبل أن تمسحه بسرعة.

ـ "ماذا كنتِ تكتبين؟"

نظرت إليه بخوف، ثم همست:

ـ "كلمة... ممنوعة."

ـ "ما هي؟"

قالت بصوت لا يُسمع:

ـ "أنا."

**

ركام وقف مصدومًا.

قالت الفتاة:

ـ "هنا، لا يُسمح لك أن تقول (أنا). فقط نحن، وهم، والجميع... أما (أنا) فهي خطر."

ـ "لكن أنتِ أنتِ! لا أحد يشبهكِ!"

ابتسمت بسخرية:

ـ "قلت ذلك لأمي ذات مرة... فاختفت."

**

ركام شعر أن المدينة مبنية على النسيان.
نسيان الوجوه، الأصوات، الأسماء... وحتى الذكريات.

**

في وسط المدينة، كان هناك تمثال ضخم.
رجل بدون ملامح، كتب تحت رجليه: "المثالي".

ركام قرأ اللوحة الصغيرة:

"كن مثل هذا... لا تميّز نفسك."

**

اقترب من التمثال.
حدّق فيه.

فجأة... بدأت النقطة السوداء تحت عينه تلمع.

وظهر صوت من داخل التمثال:

ـ "كل ما ترى... اخترعه شخص خاف أن يُرى."

**

أحس ركام بقوة غريبة تنبعث من عينه.

وجه التمثال بدأ يتشقق.
الملامح بدأت تظهر تحته...

وكانت ملامح ريان.

**

ركام صرخ:

ـ "ريان؟! من جديد؟!"

ـ "أنا الحقيقة يا ركام. الحقيقة لا تموت، لكنها تغيّر وجوهها."

**

انهار التمثال.
كل من في المدينة توقف.
نظروا إلى ركام.

الفتاة التي كتبت "أنا" بدأت تضحك.
الطفل رقم 47 بكى، وقال:

ـ "اسمي... كان سامر. تذكرت!"

**

المسنّ الذي التقى به أول مرة، وقف على قدميه، وقال:

ـ "أنا عدت. أنا كنت أعيش كنسخة... والآن عدتُ إنسانًا."

**

ركام فهم.

المدينة لم تكن ميتة.

كانت منوّمة.

وكان صوته... المفتاح.

**

قال:

ـ "كل من نُسي... سيُذكَر.
كل من سُلب منه اسمه... سنعيده إليه.
أنا ركام. وأنا أراكم. وسأجعلكم ترون أنفسكم من جديد."

**

صوت المدينة تغيّر.

نبض الحياة عاد.

لكن شيئًا في السماء... بدأ يظلم.

**

ركام رفع عينيه.

رأى ظلًا يسقط من الأعلى.

ظلًا يعرفه.

**

ـ "المرحلة القادمة بدأت... وعليك أن تختار، ركام."

ـ "من أنت؟"

ـ "أنا أنت... لو اخترت أن تصمت."

**

العين التي لا تُغلق

ركام كان يقف في وسط المدينة المستيقظة.

الناس من حوله يرددون أسماءهم، يلمسون وجوههم، يتذكرون أمهاتهم، ضحكاتهم، وحتى أحزانهم القديمة.

كل شيء عاد ينبض...

إلا السماء.

**

كان هناك ظلّ يهبط ببطء، لا جسد له، فقط صوت... يشبه صوته.

ـ "ركام... أنت حرّ الآن.

لكن... هل تعرف ثمن الحرية؟"

ـ "أن تبقى مستيقظًا... حتى حين يتمنى الجميع أن يناموا."

**

ابتسم الظلّ.

ـ "وأنت؟ هل ستبقى مستيقظًا؟

أم تغمض عينك وتدعهم ينسون من جديد؟"

ركام لم يُجب.

**

في زاوية الشارع، كانت الفتاة التي كتبت (أنا) ترسم الآن جدارية ضخمة.

رسمت وجوه الناس كما تتذكّرهم... لا كما فرضتها المدينة.

**

الطفل سامر كان يركض، يصرخ باسمه كلما التقى أحدًا.

رجل مسنّ بدأ يكتب كتابًا جديدًا بعنوان: حين تذكرت من أكون.

**

وركام...

كان يقف وحده، يشعر أن النقطة تحت عينه لم تعد مجرد علامة.

بل أصبحت نافذة.

كلما نظر عبرها، رأى الحقيقة كما هي...
بشعة أحيانًا، ناصعة أحيانًا أخرى... لكنها دومًا حقيقية.

**

الظلّ اقترب أكثر.

ـ "هل تعلم، يا ركام؟ كل من امتلك هذه العين... اختفى."

ـ "ولماذا أنا ما زلت هنا؟"

ـ "ربما لأنك لم ترَ كل شيء بعد."

**

نظر ركام إلى السماء.

فرأى مدينة أخرى... فوقهم.

مدينة لا تسكنها الأجساد، بل الذكريات.

**

سمع همسات من فوق:

ـ "ركام... لم تنتهِ رحلتك.
هناك من ينتظر أن يُتذكّر.
هناك من صرخ... ولم يسمعه أحد."

**

أدار وجهه، فرآهم:

وجوه بلا ملامح، تقف على حدود المدينة، تنظر إليه بصمت.

كأنهم يسألونه:

"هل تسمعنا؟
هل ستقول أسماءنا؟
هل سترانا... حقًا؟"

**

ركام شعر أن النقطة تحت عينه بدأت تحترق.
لكنه لم يغلق عينه.

قال:

ـ "نعم... أراكم.
وسأتذكركم... ولو احترقت عيني."

**

أُطفئت أضواء المدينة... فجأة.

عمّ الظلام لثوانٍ.

ثم...
أضيء كل شيء بنور واحد، خرج من عينه فقط.

**

لم يكن نورًا عادياً...
كان ممتلئًا بأسماء، وحكايات، ومقاطع من ماضٍ لم يُكتب بعد.

**

ركام سار وحده نحو الحافة.

المدينة خلفه بدأت تنام من جديد...
لكن النقطة تحت عينه بقيت مفتوحة.

**

ولمّا سُئل أحدهم بعد سنين:

"هل حقًا وُجد ركام؟"

قال:

"لا أدري... لكن أحيانًا، حين تنظر في أعين بعض الناس... ترى النقطة."

**

نهاية؟
ربما لا.

ربما بدأت القصة للتو...

"في زمنٍ يُكافأ فيه من يُجيد التمثيل، كان ركام يراهُم كما هم.
لم يطلب أن يكون مختلفًا... لكنّه اختير ليرى ما لا يُقال.
تحت عينه نقطة، وفي قلبه نار، وفي صمته ثورة على كل ما يُزوّر.
فاحذر أن تكذب أمام من وُلدت عينه شاهدة."

نقطة تحت العين

حين يولد طفل بعين ترى الحقيقة... لا يعود العالم كما كان.

ركام، طفل هادئ يحمل في وجهه سرًّا لا يُرى إلا حين يُحدّق جيدًا... نقطة سوداء صغيرة تحت عينه، تكشف له ما يُخفيه الناس خلف ابتساماتهم وكلماتهم.

لكن كل هبة تُخفي لعنة، وكلّ من يرى الحقيقة... يصبح مطاردًا بالأسئلة، بالظلال، وبأصوات من ماضٍ لم ينسه أحد.

في رحلة بين الواقع والوهم، بين الذاكرة